

فكرة الهوية في الثقافة المواطنتية

أ. رانبي عبد القادر
أ. بن جليل محمد

ملخص

تسعى هذه الدراسة في نظرتها لفكرة الهوية من كون الهوية هي السمات التي يتطبع بها كيان بشري عن غيره من الكيانات وعلى ضوءها يعرف ماهيتها وأصوله ومنها يحدد انتماءه، فهي تستند في تحديدها إلى العامل الفكري وتلمس عوامل الالتقاء مع المنتمين لدائرة الانتماء، ومن هذا المنطلق تسعى الدراسة لإظهار كيف هي الهوية في المجتمعات التي تشيع فيها فكرة المواطنة وعلى العكس من ذلك في المجتمعات التي تتميز بالتنوع الإثني والطائفي، لهذا جاءت الدراسة وفق محورين رئيسيين الأول الهوية في الثقافة المواطنتية والثاني الهوية والانتماءات الثقافية المتعددة.

كلمات مفتاحية: الهوية، الانتماء، المواطنة، الطائفية.

Abstract

This study seeks in its view of the idea of identity, thus, the identity is a set of features that characterize a human entity from other entities, and against which the human entity knows its essence and assets, of which determines affiliation. It is based in determining to intellectual factor, and touch factors of meeting with affiliated ones to a circle of belonging, from this perspective, this study seeks to show how the identity in societies where common idea of citizenship, and on the contrary, in societies characterized by ethnic diversity and sectarian, for this was the study according to two main focuses: First: Identity culture of citizenship, and the second: identity and multi-cultural affiliations

Keywords: identity, affiliation, citizenship, sectarianism.

تزخر الكتابات العربية والأجنبية بالكثير من البحوث والدراسات التي تتناول موضوع الهوية، والتي قد توقع الباحث في نوع من اللبس عند تناول هذه الظاهرة وتأتي صعوبة ذلك من صعوبة إيجاد تعريف محدد لمفهوم الهوية وذلك لتعدد المدارس التي تناولت الموضوع فضلاً عن سعته وشموليته إذ تتشارك في تكوينه عوامل ومتغيرات عدة ولا سيما المتغيرات المجتمعية التي تطرأ في فترات زمنية معينة والتي تشكل طبيعة الوعي البشري في ظرفيه الزماني والمكاني، (1) ومعلوم أن الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية حتى ولو توفرت الإرادة السياسية على خلاف الوحدة الاقتصادية مثلاً (2). فهي تتعلق بالقناعات الفكرية والشعور بالانتماء للمجموعة ذات التجانس الثقافي، ومن هنا كيف هي الهوية في ظل شيوع فكر دولة المواطنة؟ وكيف تكون إذا ما ساد في المجتمع تعدد الانتماءات الثقافية؟

المحور الأول: الهوية في الثقافة المواطنتية

نسعى من خلال هذا المحور لتحديد مفهوم الهوية في الصورة العادية لما يكون المجتمع يحكمه الشعور بالانتماء للوطن، وذلك وفق المبادئ التي تحكم المجتمعات ذات التوجه المواطنتي، لأن المواطنة هي الشعور بالانتماء للوطن والسير وفق القوانين التي تحددها الدولة، حيث لا يكون الفرد تحكمه قوانين مسطرة من طرف كيانات جزئية داخل البلد سواء مكتوبة أو عرفية، لهذا يتناول المحور المفهوم والمكونات وفي الأخير عوامل تشكيل الهوية.

أولاً: مفهوم الهوية

دخل مفهوم الهوية للفكر العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث لا نجد ضمن المصطلحات المترجمة في تلك الفترة مثل الحرية والثورة والأمة والقومية والمساواة والوطن، فقد حدد العربي هويته في العصر الحديث متأثراً بعلاقات الهيمنة التي فرضها عليه الغرب وبدافع التحرر من هذه الهيمنة من ناحية ومن كل مظاهر الاستغلال الطبقي والاستعباد والإلطهاد الداخلي من ناحية ثانية، وقد عرفها الجرجاني بأنها "الأمر المتعلق من حيث امتيازها عن الاغيار" أما ابن رشد فيرى أنها "المعنى

الذي يطلق عليه اسم الموجود "وعند الفارابي" هوية الشيء أي عينته وتشخصيه وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك" (3) ، فهي اسم الكيان ووجوده على حاله من خلال خصائص معينة تمكن صاحبها من الاشتباه مع أمثاله أو الاختلاف عنهم (4) ، ومنه تكون الهوية مجموع السمات الروحية والفكرية والعاطفية الخاصة التي تميز مجتمعا بعينه وطرائق الحياة ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات وطرائق الإنتاج الاقتصادي والحقوق (5).

فالهوية من حيث كونها أمرا موضوعيا وذاتيا معا هي وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام فهي معرفتنا من نحن وأين نحن ومن أين أتينا وإلى أين نمضي وبما نريده لأنفسنا وللآخرين وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة، فالهوية شعور جمعي لأمة أو لشعب ما يرتبط ببعضه ارتباطا مصيريا ووجوديا، ويميز علماء الدين هلال ثلاث مستويات للهوية (6):

- على مستوى الفرد أي شعوره بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات.
 - على مستوى التعبير السياسي الجمعي في شكل تنظيمات وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري.
 - على مستوى تبلور وتجسيد هذه الهوية في مؤسسات وأبنية وأشكال قانونية على يد الحكومات والأنظمة.
- ومنه تكون الهوية الحضارية لأمة من الأمم هي القدر الثابت والجوهرى والمشارك من السمات والقيم العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات الأخرى، كما يمكن أن يكون للهوية مجموعة من المكونات.
- ثانيا : مكونات الهوية

انطلقت الهوية العربية من مبدأ التغير للانسجام مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والإبقاء على الثوابت المرتبطة بالدين واللغة والعادات والتقاليد وبقيت في ذلك اللغة العربية محافظة على ثباتها الإيجابي باعتبارها مكونا أساسيا للهوية العربية ويبقى الجدل النظري والفكري حول حقيقة مصير الهوية القومية.

فمفهوم الدولة الذي طبع التطور السياسي لمعظم المجتمعات الغربية والعالمية منذ معاهدة وستفاليا عام 1648 التي وضعت نهاية لحرب الثلاثين عاما بين فرنسا والنمسا جرى عندها تحديد نهائي وترسيم كلي للحدود بين الدول، أخذ هنا يتبلور المفهوم الحديث للدولة من حيث هي تنظيم سياسي وإجتماعي بين الأفراد القاطنين في بقعة جغرافية محدودة ومع بزوغ النزعات القومية في منتصف القرن التاسع عشر وتحولها في القرن العشرين إلى نزعات مهيمنة انتهت إلى نشوء دول قومية في كل من ألمانيا وفرنسا، فالمازق الإيديولوجي والسياسي والاقتصادي الذي آلت إليه هذه الدول بعد الحرب العالمية الثانية ومن ثم التحولات الديمغرافية من خلال المحركات الشرعية وغير الشرعية، دفع نخبها من جديد إلى التفكير في طبيعة تكوين وآلية عمل الدولة القومية وهو ما يعبر عنه حاليا بنهاية الدولة القومية وبداية التفكير بالدولة الديمقراطية أو دولة الحق والقانون، (7) ومكونات الهوية الإنسانية يرتبط وجودها عبر شبكة من العلاقات التي تندرج في الخصائص المشتركة الحضارية والمشاركات التالية (8):

- المجال الجغرافي.

-وجود ذاكرة تاريخية مشتركة للأمة.

-ثقافة شعبية مشتركة بين جميع فئات المجتمع.

-منظومة حقوق وواجبات مشتركة يضعها المجتمع لتنظيم العلاقة بين الدولة والأفراد مع بعضهم.

-اقتصاد مشترك مرتبط بمناطق معينة.

إضافة إلى ذلك فإن عناصر الهوية الإنسانية فردية كانت أو جماعية لا تنحصر في العناصر المادية وحدها بل تتعداها إلى مجموعة أخرى من العناصر وهي (9):

1-العناصر المادية والفيزيائية: وتشتمل على الحيازات كالاسم والسكن والملابس والقدرات الاقتصادية والعقلية والتنظيمات المادية والانتماءات الفيزيائية والسمات المورفولوجية .

2-العناصر التاريخية: وتشتمل على الأصول التاريخية والأحداث والآثار التاريخية.

3-العناصر الثقافية والنفسية: وتتضمن النظام الثقافي مثل العقائد والأديان والرموز الثقافية ونظام القيم وصور التعبير الأدبي والفني والعناصر العقلية مثل النظرة إلى العالم والاتجاهات والمعايير الجمعية والنظام المعرفي مثل السمات النفسية الخاصة واتجاهات نسق القيم.

4-العناصر النفسية والاجتماعية: وتشتمل على الأسس الاجتماعية مثل مكان السكن والجنس والمهنة والسلطة والدور الاجتماعي والانتماءات والقدرات الخاصة بالمستقبل مثل " القدرة والإمكانية والتكيف ونمط السلوك".

فمفهوم الهوية مفهوم إشكالي لأن للهوية أبعادا شائكة ومتداخلة فيما بينها تتصل بالحقل الفلسفي والمعرفي والسياسي والتاريخي إضافة إلى عوامل أخرى تتفاعل مع الهوية وهو ما تمتاز به الجماعات الإثنية، وهذه الإشكالية تحتل الحل وعدمه بحيث تكون أمام معادلة متحركة تنتج نفسها بنفسها وتعيد ترتيب أولوياتها، والسبب يعود إلى طبيعة الهوية المتغيرة في مرحلة العولمة المعاصرة، فالهوية ليست شيئا نهائيا مغلقا على ذاته وإنما هي امتداد إلى التاريخ والحضارة وهي قيم وخصائص قابلة للتحرير والتطوير والتحول من زمن لآخر حسب المستجدات، لذا الهوية تمر في تفاعل وازدهار وتعيش حالة ركود وخمول وانكماش كما تندمج مع الهويات الأخرى العشائرية والطائفية والإثنية(10).

ثالثا : عوامل تشكيل الهوية

تتشكل عوامل الهوية بعوامل الجغرافيا والتاريخ والعادات ورموز السلطة والرموز الدينية، كل هذه العوامل تتفاعل فيما بينها في ضوء السياق الاجتماعي والمشروع الثقافي وتشكل هوية الأمة في إطار زمني محدد، وعلى اعتبار أن السياق والبناء الاجتماعي للهوية عادة ما يحدث في إطار يتأثر بعلاقات السلطة فهناك ثلاث أشكال لبناء الهوية(11):

-هوية إضفاء الشرعية: وهي الهوية التي تسعى لبنائها المؤسسات المسيطرة في المجتمع وتهدف هذه المؤسسات من ذلك إلى إضفاء الشرعية على هذه السيطرة لدى الجماعات الفاعلة في المجتمع.

-هوية المقاومة: وهي الهوية التي تسعى لبنائها الجماعات والقوى التي تأتي في موقف المعارضة للمؤسسات المسيطرة والتي تعارض منطق السيطرة في حد ذاته لذلك تقوم هذه الهوية على مبادئ تختلف عن تلك التي تقدمها مؤسسات المجتمع.

-هوية المشروع: وهي الهوية التي تسعى لبنائها الجماعات النشطة في المجتمع حيث تحاول هذه الجماعات التي تمثل النخب الثقافية لتطوير البناء الاجتماعي وتحديد مواقفهم في إطار علاقات القوى.

فلا توجد هوية جوهرية غير قابلة للتغيير حيث يمكن للهوية المقاومة أن تتحول إلى الشكل الأول " هوية الشرعية " حال انتقال قوى المعارضة إلى مواقع السلطة، وفي هذا الإطار يميز الباحثون بين عدد من العوامل التي تعد مصادر لتشكيل الهوية وهي :

1-القيادات وقوى النخبة: تأتي القيادات كأهم مصدر من مصادر تشكيل الهوية حيث تقوم القيادات بقبولة الأحداث بشكل معين ويتم استخدام هذه القوالب لتعبئة الرأي العام تجاه السياسات المعلنة وإضفاء الشرعية عليها.

2-القوى المجتمعية: تتشكل الهوية هنا من قبل الحركات الاجتماعية والنشطاء السياسيين والمثقفين وما يطرحونه من أفكار جديدة وعادة ما تأخذ القيادات هذه الهوية بعين الاعتبار حيث يكون هناك اتفاق بين القيادات والقوى المجتمعية على الهوية الوطنية ولكنهم في أحيان كثيرة يختلفون حول مضمونها وتوقعاتها.

3-العوامل الدولية :أصبح النظام الدولي محورا للجدل والنقاش على المستويات المحلية وازداد معه نقاش هوية الدولة أو الأمة والهوية الوطنية وعلاقة الدولة بالمجتمع الدولي.

فالهوية التي تصب في فكرة تعلق المواطن بالوطن والأمة كثيرا ما تكون مهددة حين ينزع الأفراد إلى التخلي عن هذه الفكرة أو عدم تعظيمها في نفوسهم إذا كان للأفراد ثقافات أخرى تلهيهم عن التفكير الجماعي، ويكون هناك نوع من الخصوصية في الطرح الثقافي المتبادل بين الأفراد، فيكون للأفراد انتماءات أخرى تتحدد وفقها هوياتهم وهو ما تأتي به في أحيان كثيرة الطائفية على المجتمع .

المحور الثاني : الانتماءات الثقافية المتعددة

للوطن مكانة عظيمة في ثقافة الدولة الحديثة هدفها إذابة الفروق وتوحيد الانتماء للوطن الواحد المستقل، ومن هنا تكون فكرة الوطن علوا على الطائفية والقبلية والمذهبية التي تعرفها العديد من المجتمعات العربية، فهي تنظم الفرد في ولاء حقيقي ويصبح بذلك شريكا في الوطن بكل رموزه" الأرض، العلم، النشيد "التي لها معنى يعلو على الجميع لصنع المعاني المحايده للانتماء وخارج أي مساس بهذه المعاني لحساب أي كان من الناس، مع الحفاظ على قداسة المقدس في الوطن وأديانه وتنوعاته الاجتماعية(12) ، فتعددية الانتماء وتناقضاته تؤدي إلى حالة من الانشطار في الهوية الاجتماعية وإلى حالة من التمزق الوجداني الداخلي للفرد الذي تتخطفه مشاعر الانتماءات المتعارضة على مختلف المستويات والاتجاهات(13)، ويبدو أنه لم يتعرض بعد من أبعاد المواطنة أكثر مما تعرض له بعد الانتماء من تآكل وتغييب(14).

فمنذ أواخر القرن التاسع عشر أصبح تأكيد الذات لدى الطوائف غير المسلمة يأخذ شكل هجوم على الذاتية السياسية الإسلامية المؤكدة بقوة في الدولة وتم الانتقال بذلك من مرحلة الاعتراف المتبادل بالتمايز الثقافي والديني الذي يجسده خضوع كل طائفة في شؤونها الدينية إلى تقاليدها وأعرافها الدينية إلى مرحلة الإنكار المتبادل لهذا التمايز، ولا يزال هذا الإنكار هو أساس الحوار السياسي من أجل وحدة وطنية في الكثير من البلاد، وأصبح التساوي في فقدان الهوية هو شرط قيام مساواة بلا هوية كما أصبح التخلي عن الذاتية قاعدة بناء الدولة العصرية(15).

فالخلل في العلاقة بين أتباع المذاهب الإسلامية أنتج ثقافة من التعبئة المتبادلة فانشغلت كثيرا بخلافاتها المذهبية، حيث لا تزال كل طائفة تشعر بأنها في حاجة إلى إثبات أحقية مذهبها وأنها معنية بتحسين أبنائها، وتصبح الهوية تقاس بالنظر إلى الآخر(16)، وتتسم الطائفية في الغالب بالثقافة التعبوية التي من أهم سماتها (17):

- التركيز على مواقع الخلاف المذهبي مع محدوديتها وتجاهل مناطق الاشتراك الواسعة، ويتم في أحيان كثيرة افتعال قضايا الخلاف في مسائل جزئية جانبية تلمس نقاط الضعف في تراث المذهب الآخر والتشهير بها حتى لو كانت رأيا شاذا.
 - نبش حوادث التاريخ للتذكير بمعارك النزاع والصراع السابقة مما يغذي الأحقاد ويرسخها.
 - تحريم النقد الذاتي وحرية التعبير عن الرأي داخل كل مذهب فيما يخص قضايا الخلاف المذهبي.
 - تعميق النظرة الدونية على المستوى الديني لأتباع المذاهب الأخرى باعتبار أن أتباع المذهب هم الفرقة الناجية والأخرى هالكة.
- وهذا ما زاد من تعميق الفجوة وأصبحت فكرة التخلي عن الهوية الثقافية للجماعات المختلفة المكونة للجماعة القومية هي أساس الممارسة السياسية ويصبح التمسك بالتمايز الثقافي هو قاعدة اللعبة السياسية، لأن الهوية الثقافية تمثل الصورة التي تضعها أي جماعة بشرية لنفسها وعن ثقافتها وتاريخها رغبة في تمييزها واختلافها عن المجموعات الثقافية الأخرى، (18)فالذي يستطيع أن يحافظ على ذاتيته ويعمل على تفكيك ذاتية الآخر يستطيع أن يحتفظ في الساحة السياسية بقوة غير مرئية عظيمة الأهمية، (19) وهذا ما بنى السياسة المحلية على غش متبادل، وبما أن الأغلبية هي المستفيد الأكبر فإنها تسعى جاهدة إلى الحفاظ على الهوية

الثقافية الخاصة بها لأنها هي الوحيد الذي يفقد الامتيازات الأكبر في ظل وجود ثقافة وطنية، وفي المقابل تلجأ الطوائف الأخرى التي ترى نفسها بأنها مقهورة أو أنها مهمشة إلى الارتباط بهويات خارجية مشفوعة بنوع من الصحو القومية الدينية، فردة الفعل هذه ليست بالضرورة تجاه الطوائف الأخرى وإنما ضد الدولة والإرادة السياسية التي أخذت شرعيتها من لا ذاتية السلطة أو من بناء سلطة قائمة على نفي الثقافة والتقاليد الدينية والشعبية (20).

وهكذا تتحول القضية الثقافية إلى قضية قومية لا تهدد فقط إستقرار الدولة السياسي القائم على نكران متبادل للذاتية ولكنها تهدد أكثر من ذلك وجود الجماعة ذاتها كمجتمع سياسي موحد وقومي، لأن التمايز الثقافي هو رمز للتجزئة دائماً، والوحدة تبقى هنا شكلية ما دامت تقوم على اتفاق سلمي هو في الحقيقة اتفاق على باطل مضمونه تخلي الجماعة عن كل هوية قومية تجاه الجماعات القومية الخارجية الأخرى، (21) وهو ما نجده في كثير من البلاد العربية الذي تنسلخ فيه بعض الجماعات إلى تبني لغات دول أجنبية.

لكن العودة إلى الثقافة الدينية التي تحمل في طياتها العودة إلى تأكيد الهوية الخاصة تظهر في هذه الظروف كما لو كانت عودة إلى الوراء ودعوة للمحافظة، وترتبط قضية الهوية الذاتية بسرعة بالقضية الاجتماعية لتجعل من فقدان الهوية قاعدة لتسلط النخبة الحديثة والعصرية على العامة المتعلقة أكثر فأكثر بالتقاليد بقدر حرصها على تحديد سلطة النخبة الحديثة (22).

وفي دراسة حول الموقع الذي يحتله المكوّن الديني في تكوين الهوية لدى شباب البحرين هذا البلد الطائفي، أثبتت الدراسة أن 45% ممن استطلعت آراؤهم يرون أن الدين والعقيدة يقعان في المرتبة الأولى بالنسبة إلى الموضوعات ذات الأولوية لديهم، وفي المقابل أفادت الدراسة بأن 11% ممن استطلعت آراؤهم بأنهم ملتزمون دينياً لدرجة كبيرة، في حين أجاب 83% أنهم ملتزمون إلى حد ما فقط و 6% غير ملتزمين دينياً، ما يفسر أن حضور الدين المكثف إنما يحدث في أشكال التعبير عن الهوية وفي رموزها المتخذة وسيلة للتعبير عن الذات أكثر مما هو التزام شمولي به (23).

وأشارت الدراسة نفسها أن الوطن قد يحتل مرتبة الصدارة لكن حين فك تجريد السؤال بوضعه في سياقات أكثر واقعية كما لو تعرضت العشيرة أو العائلة إلى حادث مأساوي من نوع ما، نلاحظ أن الوطن يتراجع، وبدت الشباب أكثر التصاقاً بالقيم العائلية في حين يأتي التصاق الشباب بالقيم الدينية أكثر، كما وقفت الدراسة على أن الشباب يتمتعن بالتسامح الديني أكثر حيال فكرة إقامة صداقات مع ديانات أخرى أكثر من الشباب، لكن عند طرح مسألة الزواج فنجد العكس بين الجنسين، (24) وهذا ما يثبت الاتصال بالثقافة الدينية حيث تعطي الشريعة الإسلامية إمكانية للذكور في الزواج من نساء من ديانات الأخرى.

وفي قياس مستوى الهوية الوطنية اختير سؤال لقياس مؤشر الفخر الوطني، وهو هل أنت فخور بهويتك البحرينية؟ فقد عبر 67% عن أن الهوية البحرينية لا تهمهم ممن استطلعت آراؤهم في المقابل أجاب 24% بنعم (25).

فالأقليات الصغيرة تبحث عن هويتها الخاصة بها في إطار الحدود الدينية الخاصة بها لأنها تشعر بأنها مهددة من جراء تطور العودة الكثيفة لدى الأغلبية إلى الذاتية الإسلامية الموسومة دائماً بالسلفية، مدمرة بذلك المكتسبات العصرية الحديثة بما في ذلك المساواة في الحقوق وحرية الاعتقاد، هذه الأقليات بقدر تزايد شعورها بالتمايز الثقافي والديني يزداد تمسكها على صعيد القول والكلمة بالمعتقد العلماني الذي ينادي بفصل الدين عن الدولة وعن كل ما يمس المشاكل المشتركة للجماعة، وتظهر ردة الفعل الفكرية هذه المترافقة عادة إن لم يكن دائماً بممارسة طائفية وبغيرة حقيقية على الذات وبالتعصب ورفض الحوار بين الأديان بما في ذلك الأديان أو العقائد الحديثة للنخبة (26).

ونجد أن فكرة الدولة العلمانية التي تتبناها الطوائف المهشمة لم ترتق إلى مستوى تطلعاتهم، فبقدر ما كانت الاعتقادية العلمانية الأوربية وسيلة لتحرير العقل وفرض حرية التعبير جاءت العلمانية العربية والتي تعود في أصلها إلى القرن التاسع عشر، (27) كي

تُقدّم غطاءً شرعياً لمصادرة حرية الرأي والتعبير الاجتماعي والطبقي، وذلك بإظهار نوعاً من المساواة الشكلية بين الطوائف، ومن أجل ذلك بقيت عقيدة مستلبة تجاه الدولة (28).

فأي نموذج يمكن أن يطرح في ظل شيوع الانتماءات الثقافية يمكن أن يؤدي إلى تسلط أو هيمنة أقلية وهكذا يتحول الإسلام بسرعة في ذهنها إلى عقيدة ركودية رجعية لا تنتشر إلا بسبب جهل العامة التي تعمل هي ذاتها على تخليد جهلها، وفي هذا يرى برهان غليون أن ما تقترحه العلمانية على نفسها كهدف قابل للتحقيق هو نقل المجتمع من الجهل إلى النور لا المساواة ولا العدالة ولا الحرية ذلك أن هذا الانتقال من الجهل إلى النور هو شرط الديمقراطية كما هو شرط الاشتراكية، لا تدخل العلمانية هنا إذن كمذهب سياسي يدعم نظاماً حراً ولكنها تظهر كبديل ثقافي للذاتية الدينية أي مجرد نفي للذاتية القومية، وهذا ما يمكن الإسلام من دخول الحلبة السياسية من أجل الدفاع عن الديمقراطية والمساواة الغائبتين عن الدولة العلمانية والتتين تصطدمان مباشرة بالنزعة الاستيعادية وهذا ما يزيد من تعقيد الوضع، (29) إلا أن الطبيعة العربية لم تدع مجالاً لتطبيق العلمانية ولا النموذج الإسلامي المنادى به من طرف الإسلاميين، في حين علت أصوات لتوحيد الهوية العربية لأن المكونات الأساسية للهوية تتصف بخصوصية تاريخية لكل أمة والتي تشكل الثقافة أهم عناصرها فالأمة العربية تملك كل المقومات التي تؤهلها إلى ذلك والتي أشارت إليها وثيقة كامبل بنرمان (وعلى إثرها تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) أليكسو (مجموعة من الإصلاحات هي (30):

- العمل القومي الثقافي التربوي: وهو عمل ينبغي أن يستند إلى مبدأ التعاون الفعال والمتكامل بين الدول العربية لإحداث تنمية ثقافية وفكرية وتربوية لا تنشغل بالنزاعات المحدودة ولا بالاختلاف الإقليمي ولا بالتباين المذهبي أو الطائفي.

- التراث العربي والإسلامي: إبرازه بأسلوب ناجح وجذاب باعتباره دافعاً لنهوض الأمة وليس باعتباره مادة للاختلاف والفرقة.

- اللغة العربية: نشر اللغة العربية في الداخل والخارج مهمة حيوية لإحداث التجانس الداخلي وإقامة حوار ثقافي معرفي وعلمي ومنهجي يستند إلى التكافؤ والمساواة.

- إقامة تعاون دولي حقيقي: لتنمية الثقافة العربية والإسلامية مع الآخر وفق مفهوم الحوار الإيجابي.

ولكن صيحة المنظمة العربية هذه بقيت حبرا على ورق فقد ظلت التجزئة هي المسيطر على الشعب العربي، فنجد الفرد العربي يتمسك بهوية الحصرية ويدافع عنها وخاصة كما سبق ذكره، يكون التشبث أكثر من الفئة التي وصلت إلى السلطة وترغب في إبعاد الجمهور عن السياسة والسلطة مثلما تطمح الأقليات لدعم دولة علمانية، وهو لا يتناقض مع محافظتهما على هويتهما الدينية ولكنه يظهر كضامن لهما، بينما تشعر الأغلبية أنها فقدت فيه الكثير فتلجأ إلى اتهام الأقليات بالتحالف مع الخارج أو مع السلطة المحلية بهدف خدمة مصالحها الخاصة (31).

والأمة ليست محصورة في القلة من أصحاب الفكر المعتدل بل تتكون من الأغلبية من حبيسي الأحكام المسبقة التي تميل إلى ردود الأفعال الطائفية والتي تعكس تفوق الالتزام بمصالح الجماعة الدينية على المصالح القومية، ويتعد المجتمع عن تشكيل هوية جامعة وفق ثقافة الدولة الوطنية التي تعلو على الجميع بقوانينها وسلطتها ويضل الأفراد حبيسي الثقافة الضيقة الخاصة بالطائفة التي ينتمون إليها. ومن هنا يكون مفهوم الهوية في المجتمعات العربية مفهوم صعب التحديد فمن جهة نجد أن الفرد المنتمي إلى طائفة ما داخل الحدود العربية لا ينكر انتماءه إلى البلد الذي هو فوق أرضه وتحت سمائه لكن إعلاء أولوية الانتماء بين الانتماء للطائفة والانتماء للبلد هو الذي يربك المشهد اليوم في العالم العربي، ويصبح لفظ الهوية لفظ مائع لا يؤدي الدلالة الحقيقية التي وجد أو اصطلاح عليه من أجلها.

- 1- مصطلحات أنثروبولوجية، الهوية، شبكة نأ المعلوماتية. (HYPERLINK "http://www.annabaa.org/"www.annabaa.org)
- 2- محمد عابد الجابري: مسألة الهوية: العروبة والإسلام ... والغرب. ط3، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص. 11.
- 3- ناظم عبد الواحد الجاسور: موسوعة علم السياسة. ط1، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004، ص. 123.
- 4- أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية: الحقائق والمغالطات. الجزائر: دار الأمة، 1996، ص. 11.
- 5- بجيرمي يوسف: ثقافة المقاطعة ضرورة علمية لمواجهة الهيمنة. المركز الفلسطيني للإعلام، 2011، ص. 1.
- 6- ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص. 385.
- 7- صموئيل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي. ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة: دار سطور، 2000، ص. 2.
- 8- محمد عابد الجابري: الهوية العربية: من صحيفة النبي إلى تفكك الخلافة. عن موقع WWW.AMJABRIABED.NET
- 9- نفس المرجع.
- " القيم هي المعتقدات التي يعتقد الأفراد بقيمتها ويلتزمون بها و بمضامينها. "موسى اللوزي: التطوير التنظيمي: أساسيات ومفاهيم حديثة. الأردن: دار وائل للنشر، 1999، ص. 59.
- " الإثنية كيان بشري يشعر أفرادها بوحدة الانتماء لاشتراكهم الجماعي في امتلاك خاصية أو خصائص نوعية لا تشترك معهم فيها الجماعات الأخرى و قد تكون الدين أو المذهب أو اللغة أو الثقافة. "... سعد الدين إبراهيم: مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي. عمان: منتدى الفكر العربي، سلسلة دراسات الوطن العربي، 1988، ص. 24.
- 10- قليقلي عبد الفتاح: تطور الهوية الفلسطينية. فلسطين: جريدة حق العودة، 2011، العدد 45.
- 11- خيرت معوض، محمد عياد: الهوية العربية كمتغير لمعالجة الصحافة العربية للغزو الأمريكي للعراق. المؤتمر السنوي العاشر " الإعلام المعاصر والهوية العربية 6-4 " ماي كلية الإعلام القاهرة.
- تفضي ظاهرة الهوية في المجتمعات العربية إلى ظاهرة عدم التكامل في الوطن العربي رغم أن حوالي 88% ممن يعتبرون اللغة العربية لغتهم الرسمية وثقافتهم الأولى وما يقارب 91% مسلمين على المذهب السني إلا أن البلدان العربية تعرف بدرجات متفاوتة ظاهرة التنوع والتعدد على أسس أثنية ودينية ولغوية ومذهبية. حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية. عدد 17، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص. 226-227.
- 12- محمد العيثم: الطائفة والفئة والوطن. عن موقع http://www.aleqt.com/2012/10/01/article_697731.html
- 13- علي أسعد وطفة: إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة. عدد 282، بيروت: المستقبل العربي، 2002، ص. 96.
- 14- نصر الدين السيد: ثقافة الدولة المدنية. ط1، القاهرة: دار العين للنشر، 2012، ص. 93.
- 15- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. بيروت: شركة الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص. 8.
- 16- " مفهوم الهوية في المرجعية النهضوية لا يتحدد من خلال الأصول الذاتية وإنما يتحدد أولاً وقبل كل شيء من خلال نوع من العلاقة مع أحد الأطراف التي كانت تقع في موقع آخر. "محمد عابد الجابري: قضايا الفكر العربي المعاصر. ط2، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992، ص. 24.
- 17- حسن بن موسى الصقّار: الطائفية بين السياسة والدين. ط1، بيروت: لبنان: (المركز الثقافي العربي، 2009، ص. 17.
- 18- عبد الرزاق الداوي: في الخطاب عن المثاقفة والهوية. عدد 2، الجزائر: السداسي الأول، 2007، ص. 15.

- 19- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. بيروت: شركة الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، ص.9
- 20- نفس المرجع، نفس الصفحة.
- يقول هنتغتون: "عالم ما بعد الحرب الباردة لن تكون فيه أكثر الصراعات انتشاراً أو أهمية وخطورة بين طبقات اجتماعية غنية وفقيرة أو جماعات أخرى على أسس اقتصادية ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة -". "صموئيل هنتغتون، مرجع سابق، ص.14
- 21- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. مرجع سابق، ص.10
- 22- نفس المرجع، ص.11
- 23- فاطمة علي: الشباب البحريني والهوية. لبنان: الجامعة الأمريكية في بيروت: معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية حزيران 2010.
- 24- فاطمة علي، نفس المرجع.
- 25- ما يعرف في الشريعة الاسلامية بالمرأة الكتابية) وهن نساء اليهود والنصارى (التي يحل للمسلم الزواج منهن وينهى عن زواج المسلمة من الكتابي، وهو ما صعب من الوصول إلى فكرة الزواج المدني في لبنان وهو ما سنقف عليه في الفصل الثالث.
- 26- فاطمة علي، مرجع سابق.
- 27- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. مرجع سابق، ص.11
- 28- عبد الاله بلقزيز: من النهضة إلى الحداثة. ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص.87
- 29- برهان غليون، المرجع السابق، ص.12
- 30- برهان غليون، نفس المرجع، ص.13
- 31- يرى يوسف القرضاوي: "أن الاتجاه العلماني يعوق انطلاق الأمة بكل طاقاتها لأنه غريب عنها ودخيل عليها لا يحركها من داخلها ولا يخاطبها باللسان الذي يهز كينونتها). "ص (54و في المقابل يرى صعوبة تطبيق النموذج الإسلامي لأمرين: الأول اختلاف صور الإسلام المنشود من بلد لآخر فأيهم يُطبق النموذج السوداني أم النموذج الإيراني أم النموذج السعودي.. والثاني هو التركيز على الأخطاء التي شابت هذه النماذج وتحميلها على الإسلام نفسه). "ص. (165 يوسف القرضاوي: الإسلام والعلمانية وجها لوجه. ط7، القاهرة: مكتبة وهبة، 1997
- 32- حسن جمعة، الهوية العربية وثقافة التغيير. عن موقع:
- 33- Wehda.alwehda.org.sy/kutab.a.asp?filename=5730
- 34- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. مرجع سابق، ص.13